ضابط السماع في توجيهات الزجاج النحوية

إعـداد

د. حمادة عبدالحكيم سالم

الملخص:

ضوابط التوجيه النحوي هي القواعد الضابطة للأوجه الإعرابية، و التي ترد دائما عند النحاة في سياق التعليل النحوي، وتأتي لتقرير التوجيه أو تعليله أو الاستدلال عليه، أو الاحتجاج له"[1]، والسماع هو أحد تلك الضوابط المنهجية التي التزم بها النحاة عند النظر في المادة اللغوية(سماعا كانت أم استصحابا أم قياسا)، وقد اعتمد الزّجّاج على عدة ضوابط نحوية في توجيهاته كان أكثرها استعمالا: السماع ثم القياس، وأقلّها صنعته النحوية؛ وذلك لموافقته من سبقوه واعتزازه بآرائهم، وتأثره بالمدرسة البصرية وروادها تأثرًا جليًا؛ كما تنوعت ضوابطه السماعية؛ وجاء في مقدمتها الشاهد الشعري، و قد كان يجمع أحيانا بين أكثر من ضابط في التوجيه الواحد.

The controls of grammatical guidance are the rules that control the inflectional aspects, which are always mentioned by grammarians in the context of grammatical reasoning, and come to determine the guidance, justify it, infer it, or invoke it), and hearing is one of those methodological controls that grammarians adhere to when looking at the article Linguistic (hearing, companionship, or analogy), and Al-Zajjaj relied on several grammatical controls in his directives, the most used of which was: hearing, then analogy, and the least of which was his grammatical workmanship, due to his agreement with those who preceded him and his pride in their opinions, and his influence on the visual school and its pioneers was clearly influenced; and his auditory controls varied; At the forefront was the poetic witness, which sometimes combined more than one rule in a single directive.

([1]) د.تمام حسان: الأصول –دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، ط١، ٢٠٠٠م، الهيئة العامة للكتاب، مصر، ص ١٩٠.

مقدمة:

الحمد لله العلي الأعظم العزيز الأكرم، الذي علّم بالقلم علّمَ الإنسانَ ما لم يعلمْ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، ثم أما بعد،،،

فعندما بدأت بوادر اللّحن تظهر على الألسنة فى البصرة نتيجةً لاختلاط العرب بالأعاجم؛ فكّر المخلصون من الغيارى على اللغة فى وضع ضّوابط وقوانين تحفظها من الفساد والذوبان فى لغات الأمم الأخرى، وأصبح لزاما على من يبتغى وضع هذه القوانين من استقراء كلام أهلها، ليتمكن من كشف أسرارها ومعرفة خصائصها بالسماع والنقل عن الناطقين بها، ومن ثَمّ تقعيد القواعد الضابطة المتفقة مع واقع اللغة.

وقد اتّجه علماء النحو إلى القرآن الكريم بوصفه المصدر الأول والمنبع الغزير الذى أُثريت به اللغة؛ لهذا قاموا بشرح القرآن لغويًّا، وكانت عنايتهم به وبقراءاته وتفسيره عناية جليلة؛ فألّفوا حوله كتبًا متخصصة في شتى المعارف اللغوية؛ ونحن بأمس الحاجة إلى الغوص في بحر تراثنا الزاخر، وما يتصل بلغتنا العربية وما يتعلق منها بكتب التفسير اللغوى للقرآن الكريم، لذا وجدتُ أن أقف على مصدر عظيم من كتب النحو والتفسير، وهو كتاب (معانى القرآن وإعرابه) للزجاج، وقد سبقه في هذا المجال كتابُ (مجاز القرآن) لأبي عبيدة معمر بن المثنى، ثم تلاه كتاب الفرّاء (معانى القرآن)، ثم جاء بعده كتاب معاني القرآن للأخفش الأوسط، ثم صنف الزجّاجُ كتابَه (معانى القرآن وإعرابه)، والذى عُنِيَ فيه بالوقوف على أوجه الإعراب، ثم الاستشهاد عليها بالشعر.

وقد استمدّ علماء النحو قواعده من كتاب الله تعالى ومن كلام العرب، فإذا ثبت قرآنية القرآن بالرواية المقبولة، كان القرآن هو الحكم على علماء النحو، وكان تقعيدهم للقواعد بالرّجعة إليه وجوبًا(١)؛ واللفظة إذا وجدت في القرآن فهي أفصحُ مما في غيرِه؛ فهو الأصلُ الذي يُرجع إليه في بناءِ قواعد اللغة.

---

(١)الزرقاني، مناهل العرفان، ج١ ، ص٤٢٢.

أما ضوابط التوجيه النحوي فتُعدُّ إحدى العوامل المؤثرة في الدرس النحوي – على اختلاف فروعه– وفي بناء أحكامه المختلفة، وهي مرتكز هام من المرتكزات التي أدّت إلى اتّساع دائرة الخلاف بين النحاة، وهي مؤشر لمرحلة الازدهار النحوي، وسلامة الفكر الناضج الذي تميز به النحاة المتقدمون والمتأخرون.

وقد تَرَدَّدَتْ قواعد التوجيه عند أبرز النحاة، و جاءت في مختلف مباحثهم لِمَا لَهَا من أهمية في الاستدلال على صِحَّةِ ما تَرَاه المدرسة النحوية، أو يَرَاهُ النَّحْوِي في مَسْأَلَةٍ مَا؛ و أبرز الكتب النحويّة التي تشيع فيها ضوابط التوجيه وتتردد بصورة جليّة هي كتب المسائل الخلافية، وعلل النحو، إلى جانب كتب معاني القرآن والمؤلفات النحوية التي اهتمت بالتعليل النحوي في منهجها، ثم سائر الكتب النحوية الأخرى، إنّ قواعد التوجيه هي أحد مكونات علم أصول الفقه والنحو معًا، و قد نشأت في أحضان أصول الفقه، ثم تلقفها النحاة، وكان لها أثر كبير في منهج التفكير النحوي لجماعة الأصوليين من النّحاة.

فقواعد التوجيه هي :قوانين تضبط ما ذكره النحاة من توجيه، وتنظر له، وقد صيغت إما للاستدلال على الحكم، أو تعليله لتقرير هذا الحكم، أو نفيه. وهي في الحقيقة القواعد الضابطة لهذه الأوجه، والمؤثرة في الاختيار، وتفضيل أحدها على الآخر، فهذه القواعد ترد عند النحاة في سياق التعليل النحوي، إلا أنّ لها وظيفتين عند النحاة في سياق التعليل وقد زاد بعضهم أكثر من ذلك، فقد ذكر د .عبدالله الخولي لها أربعة وظائف، هي :تقرير التوجيه أو تعليله أو الاستدلال عليه، أو الاحتجاج له"[1]

ولكن الواضح أنّ التعليل هو سياقها العام الذي لا ينفك عن هذه القواعد، ومدار وظيفة قواعد التوجيه يكون في الاستدلال، وهو خاص بالحكم النحوي إذا اعتبرنا تعريف التوجيه، والوجه على ما بيّناه. أما توظيف النحاة لها فمعلوم للقارئ أنّ السياق سياق تعليل لكن هذا السياق سيق لأمور متعددة كالاحتجاج على ما يراه النحوي من آراء، أو التوجيه الإعرابي، أوالترجيح بين الآراء وردها، وهو ما يدخل ضمن الخلاف النحوي.

(١) د.تمام حسان: الأصول –دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، ط١، ٢٠٠٠م، الهيئة العامة للكتاب، مصر، ص ١٩٠.

ويعدّ الأستاذ الدكتور/تمام حسّان أول من أطلق على هذه القواعد مصطلح (قواعد التوجيه)، وقد عرّفها قائلا بأنّها: " :تلك الضوابط المنهجية التي وضعها النحاة ليلتزموا بها عند النظر في المادة اللغوية(سماعا كانت أم استصحابا أم قياسا) التي تستعمل لاستنباط الحكم"[١]. والملاحظ في هذا التعريف أنّ قواعد التوجيه تصاحب أصول النحو من حيث إنها ترد عند النظر في المادة اللغوية سماعًا كانت أم استصحابًا أم قياسًا التي تعد مصادر النحو التي يقوم منها استنباط الأحكام النحوية، بمعنى أنها أصل من الأصول التي يتوصل بها إلى الحكم كالسماع، والقياس، وغيرهما، كما تلاحظ أنّ الأستاذ قد بيّن سبب هذا الاصطلاح لها، فيقول" :وإنما آثرت أن أسمي هذه القواعد(قواعد التوجيه) لارتباطها بالتعليل، وبتوجيه الأحكام عند التأويل، واعتبار وجه أولى من الآخر بالقبول حتى ليصلح أن تلحق به الألف، واللام فيسمى(الوجه)، أي الذي لا وجه أفضل منه، وقد يسمى أيضا(الراجح)، أو(المختار). الواضح أن سبب هذا الاصطلاح يعود عند الدكتور/ تمام حسَّان إلى تعليل الحكم أَوَّلًا، ثم توجيه الحكم ثانيًا، فهذه القواعد هي التي تضبط التعليل، وتضبط التوجيه، مع أنّ التوجيه يتصل بالتعليل كما بيّنا سابقًا عند تعريف التوجيه؛ لأَنَّ النحوي ما إن يذكر الحكم يذكر معه ما يتعلق بالحكم من تعليل، وكل ما يصحبه من استدلال على الحكم، وترجيح بين الأحكام وغيره.

المبحث الأول: ترجمة موجزة عن الزجاج

هو أبو إسحاق إبراهيم بن السرى بن سهل الزجاج، لُقِبَ بالزجاج –كما ذكر ابن خلكان– لأنّه كان يعمل فى خرط الزجاج، ثم تركه، وتوجه إلى الأدب، واشتغل به؛ فنُسب إليه[٢]. ولد فى بغداد، ونشأ فيها، وتتلمذ على يد شيوخها من أمثال: المبرد وثعلب، وتوفى بها فى جمادى

(١) د.تمام حسان: الأصول ، ص١٨٩– ١٩٠.

(٢) انظر: "وفيات الأعيان"، لابن خلكان، ج ١، ص ٤٩.

الآخرة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، كما قال ياقوت الحموي[١]، وتبعه السيوطى فى بغية الوعاة[٢]، وأبو البركات الأنبارى فى نزهة الألباء[٣]،

عاش في بغداد مقر الخلافة، ومركز العلم والحضارة، وكان ينزل بالجانب الغربي منها المعروف بالدويرة، ولقد بقي فيها معلمًا ومتعلمًا[٤]، و كان من أهل الدين والفضل حسن الاعتقاد جميل المذهب، وكان على مذهب أحمد بن حنبل، وكان واسع العلم رحب الفكر ثقة، تلقى العلم من شيخه ومعلمه ثعلب والمبرد، و كان أستاذًا لابن السراج، وأبى على الفارسى، والحسن بن بشر الآمدى، والزجاجى، الذى نُسِبَ إليه[٥] ، وللزجاج مكانته بين العلماء والنحاة، فقد قدم للنحو العربى والمهتمين به خدمات جليلة، ونالت مؤلفاته تقديرًا وذيوعًا بين أمثالها من كتب النحو واللغة، ومنها كتاب: "معانى القرآن وإعرابه"، و "خلق الإنسان" أو "الإنسان وأعضائه"، وكتاب: "العروض"، وكتاب: "الفردوس"، وكتاب: "النوادر"، وكتاب: "الاشتقاق"، وكتاب: "فعلت وأفعلت"، وكتاب: "مختصر النحو"، وكتاب: "الأمانى فى النحو"، وكتاب: "جامع النطق"، وكتاب: "خلق الفرس"، وكتاب: "الفرق"، وكتاب: "الأنواء"، وكتاب: "شرح أبيات سيبويه"، وكتاب: "الوقف والابتداء"، وكتاب "المقصور والممدود"، وكتاب "المثلث فى اللغة"،

(١) "معجم الأدباء"، لشهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومى الحموى، ج ١، ص ٥٢، تحقيق/ إحسان عباس، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ١٩٩٣م.

(٢) "بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة"، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى، ج ١، ص ٤١٣، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا.

(٣) "نزهة الألباء فى طبقات الأدباء"، لأبى البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنباري ، ص ١٨٤-١٨٥، تحقيق/ إبراهيم السامرائى، الطبعة الثالثة، مكتبة المنار الزرقاء، الأردن، ١٩٨٥م.

(٤) "معجم الأدباء" ، لياقوت الحموي ، ج١ ، ص٦٠.

(٥) انظر: "معانى القرآن وإعرابه"، للزجاج، ج ١، ص ١٨.

وكتاب "القوافى"، وذكر جورجى زيدان له كتاباً آخر لم أعثر عليه فى كتب من ترجم للزجاج وهو كتاب "سر النحو"[١].

كتابه "معانى القرآن وإعرابه":

وهو من أهم كتب الزجاج، ويُقدّم على سائر كتبه، وقد صدرت أفضل طبعاته شرح وتحقيق د.عبد الجليل عبده شلبى- فى خمسة مجلدات، وموضوعات الكتاب تتلخص فى فن الإعراب للآيات القرآنية، وهو مقصد رئيس للزجاج، والمعنى ينبنى على هذا الإعراب، وما لم يتوقف على إعرابه؛ ينقل ما قاله المفسرون فيه، فيقول مثلاً: والذى فى التفسير، أو قال المفسرون، فيكون عمله الرواية لا غير، ويختم عبارته بقوله والله أعلم[٢]، وتتضح القيمة الكبيرة لهذا الكتاب في أنه كتابٌ جامعٌ لآراء الزجاج النحوية والصرفية واللغوية، بالإضافة إلى ما شمله الكتاب من آراء عدد كبير من علماء النحو واللغة السابقين عليه.

ضابط السماع في توجيهات الزجاج النحوية

المراد بالسماع الكلام الذي أُتفق على فصاحته، ككلام الله، والنبي – صلى الله عليه وسلم- وكلام العرب الموثوقِ بعربيتهم، وقد استدلّ الزجاجُ بأصل السماع في توجيهاته النحوي في مواضع عديدة من تفسيره، ونذكر من ذلك الآتي:

- الاستدلال بالشعر:

(١) انظر: "بغية الوعاة"، للسيوطى، ج ١، ص ٤١٢، "معجم الأدباء"، لياقوت الحموى، ج ١، ص ٦٣، "نزهة الألباء"، للأنبارى، ج ١، ص ١٨٣، و"تاريخ آداب اللغة العربية"، لجورجى زيدان، ج ٢، ص ١٨٥، مراجعة وتعليق، د/ شوقى ضيف، دار الهلال.

(٢) انظر: "معانى القرآن وإعرابه"، للزجاج، ج ١، ص ٢١- ٢٤.

– عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[١]، قال الزجاج: أولئك فى غير الناس[٢]، بمعنى أنه يستعمل للعاقل و غير العاقل؛ واستدلّ بقول الشاعر:

ذُمَّ المَنَازِلَ غيرَ مَنْزِلةِ اللَّوَى والعَيْشَ بعْدَ أولئكَ الأيَّامِ[٣].

وللنحاة في هذه المسألة آراء، وهي:

١– أنّ "أولئك" يُشارُ به إلى العقلاء وغيرهم، وهذا رأى أكثر النّحاة كالزمخشريّ[٤]، وابن يعيش[٥]، وأبي حيّان[٦].

٢– إن "أولئك" تختص بمن يعقل، وهو رأى ابن عطية[٧]، فيرى أنّه أشار بأولئك إلى السمع والبصر والفؤاد؛ وأجريت مجرى العقلاء، لما كانت مسئولة عن أحوالها شاهدة على أصحابها، وذكر ابنُ عطية الشاهد السابق وقال: إنّ الرواية الصحيحة للبيت: "أولئك الأقوام" وعليه فلا شاهد فيه.

(١) سورة الإسراء، آية (٣٦).

(٢)"معانى القرآن وإعرابه" للزجّاج، ج ٣، ص ٢٣٩–٢٤٠.

(٤٩) البيت من بحر الكامل لجرير بن عطية الخطفى، وتخريجه: المقتضب للمبرد: ١٨٥/١، وشرح المفصل: ١٢٦/٣، وخزانة الأدب: ٤٦٧/٢ .

(٤) "الكشاف"، لأبى القاسم محمود بن عمرو الزمخشرى، ج ٢، ص ٦٦٧، ط ٣، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٤٠٧هـ.

(٥) "شرح المفصل"، لابن يعيش، ج ٢، ص ٣٦٢.

(٦) "البحر المحيط"، لأبى حيان محمد بن يوسف بن على الأندلسى، ج ٧، ص ٤٨، تحقيق: صدقى محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

(٧) "المحرر الوجيز"، لأبى محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي ، ج ٣، ص ٤٥٦، تحقيق: عبد السلام عبد الشافى محمد، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ.

٣- أنّ الغالب فى (أولئك) أن يشار بها إلى العقلاء، ويقل مجيئه لغير العقلاء، كما فى البيت وهو رأى ابن هشام[١].

ويرى الباحث أن ما ذهب إليه أصحاب الرأى الأول من أنّ (أولئك) يستعمل للعاقل وغير العاقل هو الرأي الصحيح؛ وقد استعمله القرآن الكريم للعاقل وغير العاقل؛ و الآية الكريمة أعظمُ دليلٍ وحجةٍ على جوازِ الإشارة بأولئك إلى الجمع غير العاقل. ويتضح جليا هنا استدلال الزجاج بكلام العرب المسموع (شاهد شعري) في توجيهه النحوي لاستعمال اسم الإشارة (أولئك).

ذكر الزجاج عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٢] – أن "اللام" لو كانت بمعنى "أنْ" لما دخلت على "كى"؛ واحتج بشاهدين من الشعر، دخلت اللام على كى فيهما، وهما:

الأول: أردتَ لِكَيما لا ترى لِيَ عَثرةً ومن ذا الذى يعطى الكمالَ فيَكملُ[٣]

الثانى: أردتَ لِكَيما يَعْلَمَ الناسُ أنَّها سراويلُ قيسٍ، والوفودُ شهودُ[٤]

ويتضح من ذلك أنّ الزجاج يذهب إلى أن "اللام" فى مثل هذا الموضوع هى: لام الجر، والفعل بعدها منصوب بـ"أنْ" مضمرة لا بها.

وهكذا نجد أنّ البصريين وعلى رأسهم سيبويه[٥]، وتبعه ابن عقيل[٦]، قالوا: إنّ هذه اللام هى لامُ الجرِّ، والنصب "بأن" مضمرة.

---

(١) "أوضح المسالك"، لجمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد ابن هشام، ج ١، ص ١٤٠، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

(٢) سورة النساء، آية (٢٦).

(٣) البيت للشاعر ثروان العكلي في "الأمالي"، لابن القاسم القالي البغدادي ، ج٢، ص٤٣، دار الكتب العلمية.

(٤) البيت لقيس بن عبادة في "لسان العرب" ، لابن منظور ، ج١١ ، ص٣٣٤.

(٥) "الكتاب"، لسيبويه ، ٣/ ٦.

(٦) انظر: "شرح ابن عقيل"، ٢/ ٣١٩.

وقد علل سيبويه ذلك: بأنّ اللام حرف جر يعمل فى الأسماء، وليست من الحروف التى تضاف إلى الأفعال ثم أوضح أن "أنْ" المضمرة مع الفعل بمنزلة اسم واحد، فجاز دخول "لام الجر"؛ قال: "لأنْ" و"أنْ" وتفعل بمنزلة اسم واحد"(١).

أمّا الكوفيون وعلى رأسهم الفرّاء(٢) قالوا إنَّ هذه اللام بمعنى "أنْ" وهى تعمل النصب بنفسها، لأنّ ما كان فى معنى (أنْ) دخلت عليه اللام، تقول: جئتك لكى تفعل كذا وكذا، وجئت لكى تفعل كذا وكذا وكذلك اللام فى قوله "لِيُبَيِّنَ لَكُمْ" كاللام فى كى(٣).

ويرى الباحث أن الزّجاج وسيبويه ذهبا إلى كثرة التأويلات والالتفاف، ويوافق الباحث رأي الفراء والكوفيين من أنّ اللامَ هنا بمعنى "أنْ" وهى تعمل النصب بنفسها.

ويتضح جليا هنا استدلال الزجاج بكلام العرب المسموع (شاهد شعري) في توجيهه النحوي لعمل (اللام الناصبة).

ثانيا : الاستدلال بالقراءات:

١- قوله عز وجل: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا﴾(٤)

قال الزجاج بتخفيف لام الألف، على حذف المنادى، والتقدير: ألا يا هؤلاء اسجدوا(٥). حيث قرأ الكسائي ﴿ أَلَّا يَا اسْجُدُوا﴾، ولذلك اعتمد هنا على السماع من أقوال العرب ، فجاء بضابط التوجيه، وهو قول الشاعر:

أَلا يا اسْلمِى يا دار مَىَّ على البلى ولا زالَ مُنْهَلاً بِجَرْعائِك القَطْرُ

والبيت من البحر الطويل للشاعر ذى الرمة.

وقول الأخطل أيضًا:

(١) "**الكتاب**"، **لسيبويه** ، ٣/ ٦.
(٢) " **معانى القرآن**"، **للفراء**، ١/ ٢٦١.
(٣) "**معانى القرآن**"، **للزجاج**، ٢/ ٤٢.
(٤) **سورة النمل، آية (٢٥).**
(٥) "**معانى القرآن وإعرابه**"، **للزجاج**، ج ٤، ص ١١٥.

أَلا يا اسْلمِي يا هِنْدُ هِندَ بنى بَدْرِ وإن كان حَيَّانَا عِدًى آخِرَ الدَّهْرِ

والبيت من أيضا من بحر الطويل.

والشاهد السماعي الذي جاء به في قول الشاعر(يا اسلمى) بسبوق حرف النداء الفعل الأمر، وحذف المنادى قبل فعل الأمر، وعليه رأي النحاس: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا﴾[١]، بتخفيف لام الألف، على حذف المنادى، والتقدير: ألا يا هؤلاء اسجدوا[٢]، وفي هذه المسألة (حذف المنادى) انقسم النحاة إلى فريقين:

القول الأول: جواز حذفه إذا جاء بعد حرف النداء فعل أمر، وما جرى مجراه كالدعاء؛ لكثرة وقوع النداء قبلهما، ومثال الدعاء قوله فى الشاهد الأول والثانى: "ألا يا اسلمى" وهو قول الأنبارى[٣]. وابن مالك[٤]، واختاره الزجاج كما سبق و وصفه بالقلّة[٥].

القول الثانى: لا يجوز حذفه؛ لأنه قد حذف الفعل العامل فى النداء، وحُذِفَ فاعله لحذفه، ولو حُذِف المنادى لكان فى ذلك حذف جملة النداء، وحذف متعلقه وهو المنادى، فكان ذلك إخلالاً كبيرًا، وهو قول أبي حيّان[٦]، وقال على الشاهدين السابقين بأن "يا" النداء خُلِعت منها دلالة النداء، وذكرت للتنبيه.

* و كثرة السماع الوارد في هذه المسألة شعرا ونثرا، نحو الشاهدين سالفي الذكر، وما نقله الفرّاء من قول العرب: "ألا يا ارْحَمانا، ألا يا تصدقا علينا"[٧]– تعد ضابطا نحويا قويا يؤيد رأي رأي الزجاج بجواز حذف المنادى.

---

(١) سورة النمل، آية (٢٥).

(٢) "معانى القرآن وإعرابه"، للزجاج، ج ٤، ص ١١٥.

(٣) "الإنصاف فى مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين"، للأنبارى، ج ١، ص ٨٣.

(٤) انظر: "شرح التسهيل"، لابن مالك، ج ٣، ص ٣٨٩.

(٥) انظر: "معانى القرآن وإعرابه"، للزجاج، ج ٤، ص ١١٥.

(٦) "البحر المحيط"، لأبى حيان، ج ٨، ص ٢٣٠.

(٧) "معانى القرآن"، للفراء، ج ٢، ص ٢٩٠.

ويقرأ الكسائي وأبوجعفر[١] قوله تعالي "ألا يسجدوا" بتخفيف اللام علي أن "ألا" للاستفتاح ، و"يا" حرف نداء ، والمنادي محذوف تقديره يا قوم و"اسجدوا" فعل أمر ، والباقون يقرءون بتشديد اللام علي أن أصلها "أن لا " أُدغمت النون في اللام فشددت ، و"يسجدُواْ" فعل مضارع منصوب بأن المصدرية ، وأن وما دخلت عليه بدل من أعمالهم.

٢- قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾[٢].

قال الزجاج: إذا مَضىَ: سَرَى يَسْرِي، وَ(يَسْرِ) حذفت الياء لأنّها رأسُ آية، وقد قرئت (والليل إذَا يَسْري) بإثبات الياء، واتباع المصحف وحذف الياء أَحَبُّ إليَّ لأن القراءة بذلك أكثر، ورُووس الآي فَوَاصِلُ تحذف معها اليَاءَات وتدل عليه الكسرات"[٣].

وأيضًا قال الزجاج فى قوله تعالى: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٤].

"حذفت منه الياء فى هذا الموضع، وزعم النحويون أن الياء حذفت من الخط كما حذفت فى اللفظ، لأن الياء سقطت من اللفظ لسكونها وسكون اللام في "الله" وكذلك قوله: "يوم يناد المناد" الياء من يناد، حذفت فى الخط لهذه العلة، وكذلك "سندع الزبانية"، و"يوم يدع الداع" قالوا وإن حذفت ههنا لالتقاء الساكنين، فأما قول الله عز وجل: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾[٥]، فهى كقوله (يناد المناد)، و(يدع الداع)، فهذه الياءات من نحو (نبغ) حذفت لأن الكسرة دلت على الياء فحذفت الياء لثقلها، وليس الوجه عند النحويين حذفها. فأمّا المنادى والداعى فحذفت الياء منها كما حذفت قبل دخول الألف واللام، لأنك تقول: هذا داعٍ وهذا منادٍ، فأما (والليل إذا يسر) فحذفت الياء لأنّها رأس آية، ورؤوس الآى الحذف جائز فيها كما يجوز فى آخر الأبيات[٦].

(١) "المهذب" ، محمد سالم محيسن ، ج٢ ، ص ٢٠٦.

(٢) سورة الفجر، آية (٤).

(٣) "معانى القرآن وإعرابه"، للزجاج، ج٥، ص ٣٢١.

(٤) سورة النساء، آية (١٤٦).

(٥) سورة الكهف، آية (٦٤).

(٦) "معانى القرآن وإعرابه"، للزجاج، ج٢، ص ١٢٥.

ويرى سيبويه أنّ العرب تحذف هذه الحروف من غير علة، وتجتزئ منها بالحركات التى تدل عليها وهي الضمة أو الكسرة، وربما تكون العلة فيها كثرة الاستعمال(١).

أمّا الفراء فيرى أنّ الحذف قد يكون تخلصًا من التقاء ساكنين، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ﴾(٢)، فقال الفرّاء: حذفت الواو منها فى اللفظ ولم تُحذف فى المعنى؛ لأنها فى موضع رفع، فكان حذفها باستقبالها اللام الساكنة. ومثلها: ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾(٣)، وكذلك: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٤)، وقوله: ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ﴾(٥)، وقوله: ﴿فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾(٦)، ولو كان بالياء والواو كان صوابًا، وهذا من كلام العرب(٧).

وذهب ابن جنى إلى أن سبب الحذف هو ثقل الواو والياء دون غيرها من الحروف، فقال (والواو والياء ثقيلتان فلم تزاد بدلاً من التنوين لثقلهما ويؤكد هذا القول إثباتهم الألف بحيث يحذفون الواو والياء ألا تراهم قرؤوا والليل إذا يسر والكبير المتعال"(٨).

وقال النحاس: "والوجه فى هذا أن لا يوقف عليه وأن يوصل بالياء؛ لأنّ جماعة من النحويين قالوا لا وجه لحذف الياء، ولا يجزم الشيء بغير جازم، فأمّا الوقف بغير جازم فيرى الكسائى: أنَّ الفعل السالم يوقف عليه كالمجزوم فيُحذف الياء كما يحذف الضمة، على أنّ أبا

---

(١) انظر: "الكتاب"، لسيبويه، ج٤، ص ١٨٥- ١٨٧.

(٢) سورة الإسراء، آية (١١).

(٣) سورة العلق، آية (١٨).

(٤) سورة النساء، آية (١٤٦).

(٥) سورة ق، آية (٤١).

(٦) سورة القمر، آية (٥).

(٧) انظر: "معانى القرآن"، للفراء، ج٢، ص ٢٧.

(٨) انظر: "سر صناعة الإعراب"، لأبي الفتح عثمان بن جني،ج٢، ص١٧٦، تحقيق حسن هنداوي، الطبعة الطبعة الثانية، دار القلم،١٩٩٣م.

عبيدة احتج على أنّ حذف الياء فى الوقف والوصل جائز فهو لغة هذيل لأنهم يقولون: (ما أدرِ) أي: ما أدري[١].

و الزجاج يرى جواز حذف الياء مع الوقف وإثباتها في الوصل؛ ويعلل توجيهه بثلاثة ضوابط: الأول: القياس؛ حيث قال:" ورُووس الآي فَوَاصِلُ تحذف معها اليَاءَات وتدل عليه الكسرات"[٢]، والثاني: القراءة القرآنية ؛ حيث قال: وقد قرئت (والليل إذَا يَسْري) بإثبات الياء، والثالث : الصنعة النحوية: حيث قال:" واتّباع المصحف وحذف الياء أَحَبُّ إليَّ[٣].

أمّا جانب القراءات في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ فنجد أنّ علماء القراءات[٤] يصنفون هذه الياء في ياءات الزوائد ولهم فيها ثلاثة مذاهب :-

** قراءة نافع وأبوعمرو وأبوجعفر بإثبات الياء وصلًا وحذفها وقفًا.

** وقراءة ابن كثير ويعقوب بإثباتها وصلًا ووقفًا.

** وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف- بحذفها وصلاً ووقفًا ، فقول الزجاج "وحذف الياء أحبُّ إليَّ" هذا رأي الزجاج ولكن طالما تواترت القراءات فلايردها قياس عربية فكل القراءات المتواترة الصحيحة في درجة واحدة من الحب ، وفي قوله تعالي ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾[٥] قرأ نافع وأبوعمرو والكسائي وأبوجعفر بإثبات الياء وصلاً وحذفهاوقفاً ، وقرأ ابن كثيرويعقوب باثباتهاوصلاًووقفاً ، ويقرأ الباقون من العشرة وهم (ابن عامر وعاصم وحمزة وخلف) بحذفهاوصلاً ووقفاً ، أما حذف حروف العلة وصلاً إذا جاء بعدهاساكن مثل: "يدعُ الداع –

---

(١) انظر: "إعراب القرآن"، لأبي جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي ، ج٢، ص ١٨٣، الطبعة الأولى ، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤٢١ هـ .

(٢) "معانى القرآن وإعرابه"، للزجاج، ج٥، ص ٣٢١.

(٣) "معانى القرآن وإعرابه"، للزجاج، ج٥، ص ٣٢١.

(٤) انظر"المهذب في القراءات العشرة وتوجيهها من طريق طيبة النشر" ، للدكتور محمد سالم محيسن ، ج٢ ، ص٤١٩، حقوق التأليف النشر محفوظة للنشر.

(٥) سورة الكهف ، آية٦٤ .

ينادِ المناد" لأن حروف العلة (الواو والياء) ساكنة ويتعذر النطق بساكنين ، ويزول ذلك بالوقف عليها فيقف عليها ابن كثير ويعقوب بالياء ، في قرائتهما.

٢- قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[١].

قال الزجاج: " بالقراءة على الرفع"وجوهُهم مسودة" على الابتداء والخبر، ويجوز "وجوهَهم مسودة" على البدل من الذين كفروا، والرفع أكثر وعليه القراء، ومثل النصب قول عدى بن زيد:[٢]

ذَرِينِي إنَّ أمْرَكِ لنْ يُطَاعَا وما أَلْفيْتِنِي حِلْمِي مُضَاعَاً[٣]

وهنا نجد الزجاج يستدل على (الرفع) بالقراءة القرآنية، وعلى النصب بشاهد شعري، وقد ذكر سيبويه الشاهد بقوله: "وما ألفيتني حِلْمِي مضاعًا، حيث أبدل الاسم الظاهر "حلمى" من الضمير، وهو الياء فى "ألفيتني" [٤].

والأخفش يستدل على جوازه بالسماع والقياس، فأما القياس فإنه قد جاز أن يبدل من ضمير الغائب بدل شئ من شيء بلا خلاف، وعقب بقوله "وما ألفيتنى حلمى مضاعاً" حيث أبدل الاسم الظاهر "حلمى" من الضمير، وهو الياء فى "ألفيتنى" بدل اشتمال [٥].

وذكر المرادى نفس الشاهد بقوله "ألفيتنى حلمى" حيث أبدل الاسم الظاهر وهو "حلمى" بدل اشتمال من ضمير الحاضر، وهو ياء المتكلم فى "ألفيتني"[٦].

---

(١) سورة الزمر، آية (٦٠).

(٢) "معانى القرآن"، للزجاج، ج ٤، ص ٣٦٠.

(٣) تخريج الشاهد البيت لعدى بن زيد فى خزانة الأدب: ٥/ ١٩١ ؛ وشرح أبيات سيبويه: ١/ ١٢٣؛ وشرح المفصل: ٣/ ٦٥، ٧٠؛ والهمع: ٢/ ١٢٧.

(٤) "الكتاب"، لسيبويه، ج١، ص ٢٠٩.

(٥) "شرح جمل الزجاجى"، لابن عصفور الأشبيلى، ج١، ص ٢٦٢، قدم له/ فواز الشعار، إشراف/ إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٦) "توضيح المقاصد والمسالك"، للمرادى، ج ٢، ص ١٠٤٥.

الخاتمة:

يستطيع الباحث بعد تحليل بعض التوجيهات النحوية للزجاج – أن يوضح بعض نتائج الدراسة، وأهمها:

* اعتمد الزجاج على عدة ضوابط نحوية في توجيهاته، وأكثرها استعمالا: السماع والقياس، مع قلة المواضع التي اعتمد فيه على صنعته النحوية؛ وذلك لموافقة من سبقوه واعتزازه بآرائهم، حيث تأثر الزجاج بالمدرسة البصرية وقواعدها وروادها تأثرًا جليًا في كتابه؛ حيث مثلت نسبة الشواهد السماعية والضوابط القياسية التي تؤيد وتتفق مع آراء وقواعد المدرسة البصرية ٨٣%، على حين وافقت قواعد وآراء المدرسة الكوفية بنسبة ١٥.٥%، وما انفرد به الزجاج مخالفًا المدرستين نسبة ضعيفة جدًا تعد مؤشرا لضعف نسبة صنعته النحوية وهي ١.٥%.

٢- تنوعت الضوابط السماعية عند الزجاج؛ وقد جاء الشاهد الشعري في مقدتها؛ وكان الزجاج يجمع بين أكثر من ضابط في المسألة الواحدة.